

المعالم الأثرية في ولاية الطارف "دراسة تاريخية وأثرية في ضوء المكتشفات الميدانية"
 "فيلاروستيكا الرومانية أنموذجا"

*Archaeological monuments in the state of Taref "A historical and
 archaeological study in the light of field discoveries"*
"Rustica Roman Villa as an example"

1- خميس حياة*، جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل (الجزائر)

hayat.khemis@univ-jijel.dz

2- إدريس لعبيدي ، جامعة الشاذلي بن جديد الطارف (الجزائر)

i.labidi@univ-eltarf.dz

تاريخ الاستلام: 2025 /03/27 تاريخ القبول: 2025 /05/26 تاريخ النشر: 2025 /06/05

ملخص: تحاول هذه الدراسة التاريخية والأثرية تسليط الضوء نحو واحدة من المناطق الجزائرية الحدودية التي تتربع على مختلف المعالم التاريخية والأثرية والشواهد الحضارية التي تحمل في طياتها تاريخ وحضارة هذه المنطقة.

وتعتبر مدينة الطارف من المدن التاريخية التي لا تزال تحتفظ بمعالم أثرية ترجع إلى حقبات زمنية تعكس تعاقب الحضارات التي مرت بها عبر التاريخ، فقد شكلت الطارف بموقعها الاستراتيجي وقرورها من الحدود التونسية نقطة عبور مهمة للعديد من الحضارات التي تركت بصمتها على المنطقة، ولقد حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية التطرق إلى الفيلا الريفية الرومانية العريقة المكتشفة بالمنطقة التي تعد من أهم المكتشفات الأثرية، والتي تعكس نمط الحياة الزراعية في الحضارات القديمة، ويعكس هذا الإرث أهمية المنطقة كمعبر حضاري بين مختلف العصور.

كلمات مفتاحية: الفيلا الريفية، المعالم التاريخية، مكتشفات أثرية، التراث الثقافي، منطقة الطارف.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

This historical and archaeological study attempts to shed light on one of Algeria's border regions, which is home to various historical and archaeological monuments and urban witnesses that carry with them the history and civilization of this region.

Al-Tarf is one of the historical cities that still preserves archaeological monuments dating back to historical periods that reflect the succession of civilizations that passed through it throughout history. With its strategic location and proximity to the Tunisian border, Al-Tarf was an important transit point for many civilizations that left their mark on the region. Through this research paper, we tried to address the ancient Roman rural villa discovered in the region, which is one of the most important archaeological finds, which reflects the agricultural lifestyle in ancient civilizations, and this legacy reflects the importance of the region as a civilizational crossing between different eras.

Keywords: rural villa, historical monuments, archaeological discoveries, cultural heritage, El Tarf region.

● مقدمة

يمثل التراث المادي الجبل الرابط بين الأمة وماضيها، إذ تشكل المعالم التاريخية والأثرية شواهد مادية راسخة تساعد على فهم ودراسة تطور الحضارات الإنسانية، فهي جزء لا يتجزأ من التاريخ والتراث الفكري والحضاري، وتعد الجزائر من بين أهم الدول التي تزخر بالمواقع والمعالم الأثرية المتنوعة التي خلفتها الحضارات القديمة خاصة في الفترة الرومانية .

إن الدراسات المتصفح لتسلسل المدن التاريخية الجزائرية يلاحظ أن معظم الدراسات العمرانية والأثرية اقتصرت على مدن دون أخرى، وهذا ما دفعنا إلى تسليط الضوء على هذا النوع من الدراسات برغم من قلة المراجع والوثائق التاريخية التي توثق التاريخ القديم لمنطقة الطارف.

تعد مدينة الطارف من المدن التاريخية الثرية القديمة التي تحتضن إرثا ثقافيا ومعماريا غنيا وهي شاهد حي على عراقلة المنطقة، ومن بين تلك الشواهد الفيلا الريفية التي تعود أصولها الى العهد الروماني حيث كانت تستخدم كمركز للإنتاج الزراعي والإقامة أو كما تسمى بـ "روستيكا" والتي تمثل نموذجا بارزا للتفاعل الحضاري والتنوع المعماري، وعليه تتناول هذه الدراسة موقع مدينة الطارف وتاريخها، تبعا للتسلسل التاريخي والحضاري خاصة في ظل المكانة التي حضيت بها خلال الفترات القديمة، وتهدف هذه الدراسة إلى استكشاف الأصل التاريخي للفيلا الريفية في المنطقة مع التركيز على دورها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة إلى تحليل الخصائص المعمارية للفيلا، فالإشكالية التي يطرحها البحث والتي تظهر من خلال عنوانه كمحاولة الإحاطة ورصد نمط الحضارات الزراعية قديما معرفة دور الاكتشافات الأثرية المتعلقة بها في إبراز الأهمية الحضارية والثقافية للمنطقة عبر العصور. وتتفرع عن الإشكالية بعض من التساؤلات الفرعية التالية:

- إلى أي مدى تعكس الفيلا الريفية في مدينة الطارف تعاقب الحضارات التي مرت بها المنطقة وما هي الدلالات التاريخية المرتبطة بها؟

- كيف تعكس البنية المعمارية للفيلا الريفية في منطقة الطارف التقنيات والمواد المستخدمة في البناء خلال الفترات التاريخية؟

-أهداف الدراسة:

➤ الكشف عن البنية المعمارية من خلال دراسة مكونات فيلا روستيكا لفهم تخطيطها الهندسي وطريقة بنائها.

➤ تحليل الأنشطة الاقتصادية للتعرف على الأنشطة الزراعية والتجارية التي كانت تمارس في فيلا روستيكا ودورها الاقتصادي المحلي.

➤ توثيق الاكتشافات الأثرية للحفاظ على الموروث التاريخي الأثري

➤ إعادة بناء الصورة التاريخية واستخدام نتائج الدراسة في تقديم تصور دقيق عن نمط الحياة في الفيلا الرومانية خلال العصور القديمة.

-منهج الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل موقع فيلا روستيكا باستخدام مجموعة من المناهج العلمية المتكاملة، ويعتمد البحث على المنهج التاريخي لتتبع تطور الموقع عبر العصور والمنهج الوصفي لوصف تفاصيل البنية المعمارية و العناصر المكتشفة والمنهج التحليلي لفهم طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

1. الخصوصية الجغرافية والتاريخية لمنطقة (الطارف)

1.1 أصل التسمية:

يشير الباحث "مولدي بشاينية" أن سكان الأهالي الحاليين لمنطقة الطارف لم يعرفوا اسما غير الطارف. وليس لديهم بحسب الاستطلاع الذي أجره طيلة سنوات، ما يشفي الغليل بخصوص سبب تسميتهم لهذه المنطقة بهذا الاسم؛ فهنا الكَلّ تقريبا، يرجّح فرضية أنّ يعود سبب التسمية إلى تطرّفها عن باقي مناطق الوطن وإلى وقوعها في أقصى أطرافه الشرقية. إلا أنّ هذه الفرضية سرعان ما تضعف، لأنّ المستقرى للواقع الجغرافي للوطن، يلاحظ أنّ (الطارف) ليست الوحيدة فيه التي تقع متطرّفة حتى تأخذ هذا الاسم وتنفرد به. فلماذا حملته يا ترى؟ لم تتصدّ المراجع التي بحوزته، أثناء تعرّضه لتاريخ المنطقة الشرقية للوطن للإجابة عن هذا السؤال. لذلك رجع إلى المعاجم العربية لأستنطقها باحثا عن دلالة لفظ (الطارف) لعلّ يجد في تلك الدلالات اللغوية ما يمكنه أن يستنبط فرضية أخرى تخصّ أصل تسميتها. وبالرجوع إلى معجم (لسان العرب) وجد الباحث أنّ من معاني مادّة [ط- ر- ف]: "الطريفة ضربٌ من الكَلّ وهي شجر ليس له خشب وإنما يخرج عصياّ سمحة في السماء تستلذه الماشية فترعاه؛ واحدها طرفاءة" أو "طرفاية" على لهجة أهل المنطقة الذين يقبلون الهمزة باء في كلامهم¹.

و يشير في بحثه إلى أن شجرة "الطرفة" أو "الطرفاية" Tamarix Darab من الأشجار المعمّرة التي تقوم على سوق متعدّدة لمساء ويصل ارتفاعها إلى قرابة الثلاثة أمتار، تتواجد في بطون أودية الطارف وعلى حوافّها بشكل لافت للنظر بحيث يعرفها الكبير والصغير. لذا اعتقد أن أصل تسميتها إنّما يعود إليها؛ خاصة إذا عرفنا أن ظاهرة تسمية الأماكن بأسماء النباتات والأشجار المتواجدة بها أو التي كانت متواجدة بها، ليست بالغريبة على الجزائريين والعرب عموما؛ فمدينة (عنابة) اسمها مشتقّ من شجر (العنّاب) وفي منطقة الطارف ذاتها، توجد مدن وقرى كثيرة تأخذ أسماء النباتات والأشجار كعين الكرمة والزيتونة وعين خيار .. إلخ.

بل إنّ تسمية العرب قبل مجيء الإسلام الأماكن والمدن تسميات لها علاقة بالنباتات والأشجار، ظاهرة لا تخرج في حقيقة الأمر عن تقديسهم للحيوانات التي اتّخذوها طوطما للعبادة ولا عن تقديسهم للنباتات والأشجار؛ فقد قدّس العرب شجر التين وشجر الزيتون والنخيل التي عبّدت وقُدّست وحجّوا إليها. وقد استمرّ تقديسهم لبعض النباتات والأشجار ومازال حتى أيامنا هذه. بل لقد عبد النوميديون - الذين خلفوا أثارا بارزة في منطقة الطارف- الأشجار واعتبروها من آلهة الأرض/ الأم، أي آلهة الإنبات واعتقدوا أنّها مسكن المقدّس. وفي هذا السياق يذكر "أرنوب،" (Arnobe) أنّه شهد في المملكة النوميديّة خلال القرن

¹ مولدي بشينية، التراث الثقافي الغير مادي في منطقة الواقع والأفاق، الملتقى الوطني الأول، الأدب الشعبي في الجامعة

الجزائرية، واقع وأفاق، 23،22 نوفمبر 2011، المركز الجامعي الطارف.

الرابع الميلادي السّكان يمارسون بعض الطقوس التعبدية المتّصلة بالطبيعة كربط خيوط وخرق إلى بعض الأشجار.

وتذهب الباحثة "فتيحة فرحاتي" إلى القول، بأن "عبادة الأشجار مظهر من مظاهر تقديس الخصب وإنّ الاحتفال بها يهدف إلى طرد الأرواح الشريرة أو لجلب الخصوبة. ومن الأشجار التي قدّسها النوميديون نجد شجرة الزيتون والكرمة والنخلة والسدرّة ويبقى الجبل إلى يومنا هذا، مكانا لعقائد مهمة ولا يزال الناس يعتقدون بأن بعض الجبال مسكونة بالأرواح أو بالجنّ فلا يجوز لهم اتخاذها مقراً وسكنى، على غرار ما هو راسخ من معتقدات التوارق بشكل خاص.¹

وان تسمية منطقة الطارف تحمل معنى أو أكثر لهذه التسمية ومن بينها أشار الباحث "علي خلدون" إلى أن الطارف سميت بهذا الاسم نسبة إلى "نبات الطرفاء وهو نبات ينمو على شكل أشجار عالية تنتشر على ضفاف الأودية والأنهار هذا النبات ينتشر بكثرة لذلك أطلقوه على هذه المنطقة² ويقال طارفة وتالدة أي حديثة وقديمة، ورد في شعر الأمير عبد القادر الجزائري "الجزائر طارف" ويعني هذا الجزائر غنية في المعنى الثاني وتعني في الثاني التالدة أي النادر، كما أن اسم الطارف يطلق على عدة نقاط بشمال إفريقيا وكلها مناطق تتميز بالأراضي الخصبة وكثرة المياه³، الشائع عند أهل الطارف أن هذه التسمية منذ القدم جاءت كون الطارف منطقة حدودية توجد في طرف البلد المجاور (تونس).

2.1. الحيز الجغرافي للمنطقة:

الطارف ولاية تكونت إثر التقسيم الإداري لسنة 1160 وهي منطقة حدودية تقع على الساحل الشمالي للبلاد، تقدر مساحتها ب 2166.22 كلم⁴ ، تقع أقصى شمال الشرقي للجزائر على خط طول 2 و 20 شرقا وخط عرض 5 ، 12 شمالا تحتل مكانا استراتيجيا هاما يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط من الشرق الجمهورية التونسية ومن الغرب عنابة من الجنوب ولايتي سوق أهراس وقالمة يقطنها 110.000 نسمة هي منطقة حدودية يطغي عليها الطابع الجبلي ويعتمد إقتصادها أساسا على الفلاحة وتضم الطارف سبع دوائر وأربع وعشرون بلدية موزعة حسب الشكل التالي:

¹ مولدي بشينية، مرجع سبق ذكره.

² علي خلدون، القالة بين البحر والبحيرات، مطبعة قالمة، ج 1، د ط، د ت، ص 09.

³ ريدي الطيب، نقد لربط تاريخنا التالدة بالطارف، وثيقة صادرة عن مكتبة مديرية الثقافة، الطارف، ص 01.

⁴ دليل سنة 1994، جوانب من أحداث الثورة، مطبعة صافا، بن مهيدي، الطارف، د ط، د ت، ص 05.



صورة 01 توضح بلديات ولاية الطارف¹

3.1 الخلفية التاريخية لولاية الطارف:

تحتوى ولاية الطارف على عدة مواقع أثرية ومزيجا من الحضارات كالأمازيغ واليونان، وتضل هذه المعالم والبنىات التاريخية التي وجدت منذ أقدم العصور شاهدا على مدى عراققتها حيث حملت بصمات الحضارات التي توالت عليها وتتنوع على فترات مختلفة²:

1. الفترة الفينيقية: من أهم وأبرز ملامحها الباقية إلى هذا اليوم معاصر الزيتون التي أدخلها إلى المنطقة (ماغور الفينيقي) بعد إدراك منه لقيمة وطبيعة المنطقة فلاحيا.

¹ الموقع الإلكتروني https://www.cam36.com/?attachment_id=856، غرفة الصناعة التقليدية والحرف لطارف،

تم الاطلاع على الموقع يوم 12، 01، 2025.

² أحمد توفيق مدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط، 1984، ص01.

2. الفترة الرومانية: بعد أن إستولى الرومان على كامل البلاد المغربية متتبعين في ذلك حكم الاستبداد والقسوة والتسلط في 216م بتقسيم ارض الجزائر إداريا جعلوا من خلاله ثلاث ولايات وهي: نوميديا العسكرية، نوميديا السطيفية، موريتانيا القيصرية¹

3. الفترة الإسلامية: لما جاء الفتح الإسلامي وأخرج الناس من الظلمات إلى النور فتح أمامهم السبيل للحرية والإستقرار فتوالت الفتوحات الإسلامية على بلاد المغرب العربي وكان الفاتحون مختلفون كل الاختلاف عن سابقهم الرومان والوندال فأرو أن في الدين كل المعايير الأخلاقية التي توفر للبشرية العيش والحياة الكريمة مما يفتح المجال لإبراز طاقاتهم الإبداعية من فنون وعلوم... الخ وتقبل سكان الطارف الفتح الإسلامي وانظموا تحت لوائه لما فيه من معاني وقيم روحية وأخرجت الإنسان من الظلمات إلى النور وتحقق العدل والمساواة وزالت بفضله عصبية الجاهلية².

4. الفترة العثمانية : تجسدت معالم هذه الفترة في ولاية الطارف في قصر "علي باي" الموجود ببلدية بريحان، أما في الفترة الاستعمارية عرفت ولاية الطارف معارك حامية شارك فيها أبناء المنطقة بكل ما أوتوا من قوة جسمية ومالية وهذه التضحية قابلتها وحشية فرنسا المتمثلة في خط "شال وموريس" المكهرب والذي لا تزال أثاره وبصماته إلى اليوم، وتحتل ولاية الطارف القسم الأكبر من القاعدة الشرقية التي كان لها دور فعال في مواجهة فرنسا، فقد كانت أنذلك منطقة العبور والإمدادات العسكرية والسلاح من الدول المجاورة تونس خاصة، ولمجاهة هذا التدفق الأسلحة أقامت فرنسا خطي "شال و موريس" الملمغمين والمكهربين ليتمدد عبر البلديات التالية:

خط شال: عبر أم الطبول، العيون، رمل السوق، الطارف، الزيتونة، عين الكرمة، بوحجار،

خط موريس: عبر الشط، بن مهدي، عصفور، زيزر، البسباس، الذرعان، شيجاني.³

2. الفيلا الرومانية الريفية بمنطقة الطارف

1.2 مفهوم الفيلا الريفية:

¹ عبد الرحمان محمد جيلاني، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج 1، ط 1، 1994، ص 7، 68.

² نبذة تاريخية عن تاريخ الولاية القديم، الملتقى الوطني للأسلاك الشائكة، وثيقة صادر عن مديرية الثقافة لولاية الطارف، ص 13.

³ أحمد توفيق مدني، مرجع سبق ذكره، ص 03.

إن مصطلح فيلا (Villa) مشتق من نفس الجذر مصطلح (Vicus) ويعني هذا في مفهومه العام إقامة أو منزل لكن استعماله عادة ما يقصد به المنازل التي تكون متواجدة بالحقول البعيدة عن المدن، أما مصطلح فيلا ريفية يقصد بها (Villa Rustica) يقصد بها المزارع الريفية التي بها الإقامات وبها منشآت ذات علاقة بالعمل الزراعي، وعكسها فيلا حضرية أي (المتواجدة بالمدينة)¹

وان هذا النوع من المستثمرات الزراعية (الفيلا الريفية) ظهر بإيطاليا خلال القرن الأخير في عهد الجمهورية الرومانية، ثم انتشر بعد ذلك في كامل أرجاء الإمبراطورية، ففي المقاطعات كانت ملكية الفيلا المحيطة بالمستعمرات ملكا لوجهاء المدينة أو قدماء الجند أو العناصر المترومة وكان نواب مجلس الشيوخ يسيطرون على الكثير وتشيد الإقامة في الغالب على ربوة تحيط بها أراضي متنوعة الاستغلال بعضها مخصصة لزراعة الزيتون والكروم وبعضها لزراعة الحبوب والخضروات والبعض الآخر حديقة بالقرب من الإقامة، بالإضافة إلى أجزاء غابية ومراعي، كما يحرص أصحاب هذه المستثمرات على اختيار موقعها حيث يحرصون على إقامتها بالقرب من الأودية ومصادر المياه²

نلاحظ من خلال ما تم طرحه أن هذا النوع من المباني يتمركز في الأراضي الغابية الريفية التي تدخل ضمن المستثمرات الزراعية التي استغلها الرومان لتحسين القطاع الفلاحي وتشجيع زراعة الزيتون والقمح وتمثل فيلا فاطمة كأبرز مثال على ذلك حيث تتمركز فيها معاصر الزيتون هذا ما يفسر انتشار زراعة الزيتون وهذا راجع إلى سياسة التوسع الزراعي.

والفيلا الرومانية الريفية تمثل نوعا من المساكن الريفية في روما القديمة تستخدم كمركز للإنتاج الزراعي والسكن في الوقت نفسه، تميزت هذه الفيلا بطابعها العملي والتقسيم الواضح بين الأنشطة الزراعية والسكنية وتتألف عادة من قسمين رئيسيين:

➤ **القسم السكني:** كان جزء الذي يعيش فيه مالك الفيلا وعائلته وعادة ما يتكون من غرف نوم، غرف استقبال، قاعة طعام.... الخ، وكانت هذه المساحة تصمم بشكل فاخر مع ديكورات فسيفسائية، أعمدة وتماثيل. وهذا ما يتطابق مع الفيلا المتواجدة في منطقة الطارف.

¹ مداد كمال، الفيلا روستيكا وظهور نظام بنائها "فيلا قصر فاطمة أنموذجا"، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد 17، عدد 01، 2019، ص 07

² مداد، كمال، مرجع سبق ذكره، ص 07

➤ القسم الإنتاجي: كان مخصصا للأنشطة الزراعية وتربية الحيوانات، ويشمل مخازن، معاصر الزيت والنبيد إسطبلات، مساكن للعبيد والعمال.

2.2 مميزات الفيلا الريفية منطقة الطارف:

➤ الموقع: بنيت في مواقع قريبة من مصادر المياه والأراضي الزراعي. (منطقة واد جنان، العيون، أم الطول كلا الموقعين قرب الحدود التونسية)

➤ التصميم: ضمت قسما فاخرا مخصصا للمالك وعائلته، وشمل القسم الإنتاجي مخازن للحبوب معاصر زيتون وإسطبلات لتربية المواشي، واستخدمت الفسيفساء والأعمدة في الديكور مع تصميم مستوى من العمارة الرومانية الكلاسيكية.

➤ الاستخدام: كانت الفيلا مركزا للإنتاج الزراعي، مثل زراعة القمح والزيتون والكروم.

3. الموقع الأول. الفيلا الريفية "قصر فاطمة"

1.3 الموقع:

يقع المبنى الريفي قصر "فاطمة" مشته وادي الجنان، في شمال شرق بلدية العيون الحدودية (الحدود التونسية) وهي تابعة لمنطقة القالة ولاية الطارف، يعتبر المبنى واحد من المباني الرومانية التي يطلق عليها الفيلا الريفية والتي لا تزال معالمها قائمة ليومنا هذا.

2.3 الأسطورة المرتبطة بالقصر:

يرتبط القصر بأسطورة محلية عن سيدة تدعى لالا فاطمة المعروفة بجمالها وجاهاها خلال الفترة العثمانية تروي الحكايات أن "لالا فاطمة" اختارت هذا الموقع للإقامة، مما أضفى على القصر طابعا أسطوريا وجعله مقصدا للزوار والسياح والباحثين.

3.3- الوصف الأثري:

يعود هذا المعلم للفترة الرومانية المؤرخة ما بين القرن الثالث والرابع ميلادي وهذا حسب ما صرحت به البعثة الأثرية الخاصة بإنجاز الخريطة الأثرية للشرق الجزائري. تبلغ مساحة الكلية لهذا المعلم الأثري 1250000 م² ومحيطها 80.43 م يصل إرتفاعها إلى 7.56 م، مبني بطريقة تدعى التقنية الإفريقية (opus africanum) "هذه التسمية خاصة بمقاطعة إفريقية، نقلها القرطاجيون إلى مناطق من صقلية وإيطاليا الجنوبية، وتتمثل هذه التقنية في وضع الحجارة الكبيرة عمودية وأخرى أفقية، بعد ذلك تملأ الفراغات بينها بالحجارة الصغيرة.

4.3 أقسام المسكن:

تقع أفضل مستوطنة ريفية محافظة على الضفة الشرقية لوادي جنان. وهي تضم فيلا ، تسمى قصر فاطمة ، على طابقين ، بجدران مبنية بشكل جيد من أنقاض الحجر الرملي المعتادة للغاية ، المحفوظة حتى ارتفاع 7.50 أمتار.

يتكون المبنى من 10 غرف في الطابق الأرضي: فناء المدخل مع 3 أروقة بأروقة ممر رواسب الزيت المضغوط ، وثلاث جهات لم يتم تحديدها بعد. كما توجد نوافذ الصغيرة في الطابق الأرضي ونوافذ كبيرة مقوسة في الطابق الأول. أما الطابق الأرضي فهو مخصص للجانب الخدماتي الفلاحي، والطابق الأول فهو مخصص للسكن. و الطابق الأرضي، الذي يتميز بنوافذه الصغيرة المشقوقة، مخصصاً للمدخل والجزء الريفى المجهز بمساحات إنتاج وربما متجر. كان الطابق الأول يحتوي على وظيفة الجزء الحضري مع نوافذ مقوسة كبيرة وأرضيات مغطاة بالفسيفساء. وهو يتألف من غرف تمثيلية وسكنية، حيث كان المالك الثري، الذي ربما استقر في طبرقة التونسية، يقضي فترات الحصاد للتحقق من المحصول. وتستند هذه الفرضية إلى علامة تؤكد امتداد أراضي طبرقة والفتحة الطبيعية لوادي جنان الذي يتدفق على بعد 13 كيلومتراً شمالاً إلى طبرقة. علاوة على ذلك، فإن الفسيفساء الشهيرة لثلاثة أجنحة منزل تم اكتشافها غربي طبرقة، محفوظة حالياً في متحف باردو (تونس)، تعرض فيلات وملحقات مماثلة لتلك الموجودة في قصر فاطمة. تتميز المناظر الطبيعية بالحيوانات والنباتات والصخور البارزة وأشجار الزيتون.



صورة 02 تمثل فيلا ريفية فسيفساء طبرقة (متحف باردو) تونس

قصر فاطمة واجهة محفوظة حتى ارتفاع 7,56 مترا حتى مستوى السطح جدار مبني جيدا بطبقات منتظمة جدا من الحجارة الحجر الرملي، لقد ساهمت تقنية البناء الذكية وصلابة مواد البناء والملاط في الحفاظ على المبنى، ويوجد بالقصر أربعة معاصر زيتون أقصى إنتاجها بعد 60 سنة¹

بالإضافة إلى معصرة كبيرة موجودة في القصر من ميزات المعصرة أنها بها عجلة السحق المسننة و هذا النوع من المعاصر توجد في القليل من المناطق في متماز بالطحن الجيد للزيتون من النادر العثور على مثل هذه العجلة في مزارع أخرى.



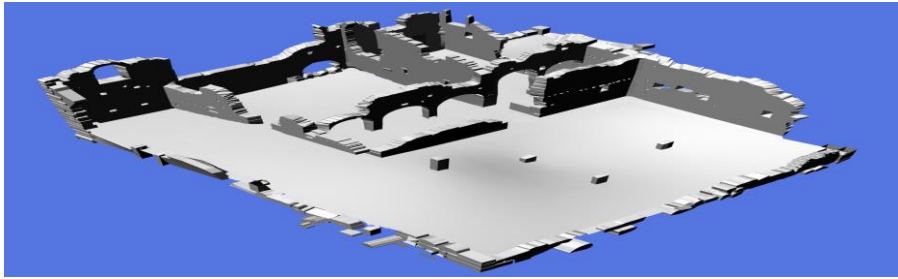
صورة 03 و 04 توضح عجلة السحق مسننة

¹ Mariette de Vos Raaijmakers et Redha Attoui, LE PATRIMOINE ARCHEOLOGIQUE DE LA WILAYA D'EL TARF , 2015, P 43

المعالم الأثرية في ولاية الطارف "دراسة تاريخية وأثرية في ضوء المكتشفات الميدانية"
فيلاروستيكا الرومانية أنموذجا"



صورة 05 توضح غرفة رقم 06 تستخدم لإنتاج الزيتون والنبيد (معصرة)



صورة 07 توضح الرفع الأثري لقصر فاطمة¹

¹ Mariette de Vos Raaijmakers et Redha Attoui , opcit, P 33



الصورة 08 و09 توضح الفيلا الريفية فاطمة

4. الموقع الثاني الفيلا الريفية "سقلاب"

1.4 الموقع:

تقع الفيلا الريفية "قصر كاب سقلاب" في أقصى الشمال الشرقي لبلدية أم الطبول الحدودية التابعة لولاية الطارف، حيث يبعد المعلم الأثري كاب سقلاب عن مقر البلدية ب 07 كلم، فهو يطل على مساحات طبيعية واسعة ويفترض أن هذا الموقع كان يستخدم لأغراض زراعية وسكنية خلال فترات تاريخية مختلفة ووجوده في منطقة تتقاطع فيها طرق تجارية قديمة، يجعل القصر ذات أهمية تاريخية خاصة.

2.4 الحقبة التاريخية لقصر سقلاب

قصر "سقلاب" هو في الأصل فيلا ريفية زراعية رومانية بني خلال فترة ازدهار الحكم الروماني في شمال إفريقيا ما بين القرن الثالث والرابع ميلادي، في هذه الحقبة كانت الطارف جزءا من مقاطعة نوميديا الرومانية التي كانت معروفة بإنتاجها الزراعي الوفير مما يجعل القصر على الأرجح مقرا لأحد ملاك الأراضي الأثرياء أو المسؤولين الرومان.

3.4 الوصف الأثري:

قصر سقلاب يمتد على مساحة 196,5م² وهي مساحة مناسبة لمنى سكني واقتصادي مما يعزز الفرضية بأنه كان يستخدم كمقر إقامة وعمل في آن واحد، تتكون الفيلا الريفية من طابقين الطابق العلوي يحتوي على غرف عادة ما تكون بعضها للنوم وأخرى للاجتماعات واستقبال الضيوف، أما الطابق السفلي يحتوي على مدخل رئيسي وهو يتكون من 07 غرف وهذا ما يشير إلى تعدد الوظائف بما فيها الهو ومن المحتمل أن تكون هذه المساحات أي الغرف مستخدمة للتخزين أو الأنشطة الاقتصادية مثل تخزين زيت الزيتون، ونظر لان قصر سقلاب قد تعرض للتلف بمرور الزمن فان تحديد الوظائف الأصلية للغرف السبعة يصبح أمرا صعبا، خاصة إذا كانت الجدران مهدمة جزئيا أو فقدت العناصر الداخلية مثل الأبواب والأثاث. وبما ان الطابق السفلي كان طابقا وظيفيا أكثر منه كونه سكنيا فيمكن تصور عمل كل غرفة وهذا التصور ليس اعتباطيا لكن بعد معرفة التحليل المعماري للفيلا الريفية في الحقبة الرومانية.

وتمثل المرافق المحيطة بالفيلا عناصر أساسية تعكس طبيعة الحياة اليومية فيها، إذ تضم الحمامات وخزانات المياه ومساكن مخصصة للعمال والخدم، كما تكشف البقايا الأثرية المنتشرة في محيط الفيلا مثل الشظايا الفخارية للأواني ، أما عن أصالة البناء وارتباطه بالنشاط الزراعي فتشير هذه الدلائل إلى أن المنطقة كانت تستخدم كمزرعة ذات طابع ريفي متميز تتمتع بموارد طبيعية وظروف ملائمة لممارسة الزراعة كإنتاج الزيتون وغيرها من المحاصيل الأخرى.

بما ان القصر يتكون من 07 غرف وهذا الغرف موجهة إلى الاستعمال الوظيفي وحسب ما هو ملاحظ في هذا القصر وجود بقايا لمعاصر زيتية وهذا يعني أن الطابق السفلي الوظيفي يستخدم لمختلف الخدمات.

وعليه من خلال إبعاد وموقع القصر كفيلا ريفية يمكن استنتاج بعض الوظائف المحتملة لها:

4.4 مكونات القصر¹

الرقم	القسم	الابعاد	المساحة م ²
1	غرفة مجهولة الوظيفة	6,10×3,10	18,91
2	غرفة مجهولة الوظيفة	6,10×3,00	18,30
3	غرفة مجهولة الوظيفة	6,10×3,30	20,13
4	غرفة مجهولة الوظيفة	2,80×2,60	7,28
5	البهو	6,70×4,90	32,83
6	غرفة مجهولة الوظيفة	3,30×4,20	13,86
7	غرفة مجهولة الوظيفة	3,30×1,70	5,61
	<u>المساحة المستغلة</u>	<u>116,92</u>	

جدول 1 يمكن توزيع غرف القصر

تحليل كل غرفة على حدة على ضوء المعلومات المبينة في الجدول أعلاه:

➤ الغرفة الأولى: قد تكون غرفة تخزين للمنتجات الزراعية (مخازن القمح) و معاصر الزيت والنبيد

¹ أحمودة أحمد، دراسة أثرية وتاريخية لقصر سقلاب بلدية أم الطبول ولاية الطارف، مذكرة لنيل الماستر، جامعة قالمة، 2020، 2021، ص 53

- الغرفة الثانية: أبعادها مماثلة للغرفة الأولى لذا من المرجح أن تكون ورشة لاصلاح الادوات والعتاد الفلاحي
- الغرفة الثالثة: هذي الغرفة اكبر بقليل من الغرفتين السابقتين قد تكون مكانا للعمل على الزيتون قبل معالجته في المعصرة. (تجهيز الثمار)
- الغرفة الرابعة: ربما كانت تستخدم لصناعة الأواني الفخارية.
- البهو: اكبر مساحة في القصر وهو المكان المركزي الذي يربط بين الغرف المختلفة.
- غرفة السادسة ربما تكون غرفة مخصصة للعاملين (قد تكون للنوم) (مراقد للعبيد)
- الغرفة السابعة: صغيرة جدا ما يشير إلى احتمال استخدامها كمخزن إضافي أو حتى كمكان لحفظ الأدوات الزراعية ويمكن أن تكون حماما خاص بالعمال أو مكان لخدمة معينة داخل القصر، وعليه فإن الطابق السفلي قسم خدماتي للقصر كان مركزا للإنتاج الزراعي ،ومزيجا بين التخزين والعمل والإقامة المؤقتة للعاملين وهو ما يتوافق مع طبيعة الفيلات الريفية.

5.4 تقنيات البناء

العنصر	التفاصيل
تعريف التقنية	Opus vittatum تقنية بناء رومانية تعتمد على ترتيب حجارة صغيرة مستطيلة الشكل في صفوف أفقية منتظمة مع تثبيتها بالملاط.
تاريخ ظهورها	ظهرت في عهد الامبراطور أغسطس (أواخر القرن الأول ق م – بداية القرن الأول م)
المكونات	حجارة مستطيلة- ملاط (جير و رمل) دعائم داخلية
طريقة التنفيذ	ترتيبها الحجارة في صفوف منتظمة وتثبيتها بالملاط مع التأكد من التوازن
تعزيز القوة والمتانة	يمنع الملاط الفراغات ويوزع الضغط بالتساوي ويقاوم العوامل الطبيعية
المميزات	مقاومة للزلازل- متانة طويلة الامد- مظهر منظم

شهد فن العمارة الرومانية تطورا ملحوظا عبر العصور حيث ابتكر الرومان تقنيات بناء متميزة ساهمت في تعزيز متانة وصلابة المنشآت ومن هذه التقنيات تبرز في قصر سقلاب تقنية فيتاتوم opus vittatum التي اعتمدت على تنظيم الحجارة الصغيرة مرتبة في صفوف أفقية منتظمة مع تثبيتها بمادة الملاط وهو نوع من الخليط اللاصق لتثبيت الحجارة وهو ضروري لإحكام ربط الحجارة ببعضها ولضمان تماسك البناء، وتعد جدران قصر سقلاب مثالا واضحا على توظيف هذه التقنية حيث ساهمت في إعطاء صلابة ومتانة ملحوظة ما جعل القصر قادرا على الصمود أمام التغيرات الطبيعية والعوامل الخارجية لعدة قرون.	الطابق في قصر سقلاب
---	----------------------------





صورة 10 و 11 و 12 توضح منبع مائي لقصر سقلاب¹

خاتمة:

وفي الختام تعد المواقع الأثرية (فيلاروستيكا) من بين أهم المواقع التاريخية المهمة التي تعكس جوانب متعددة من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصور القديمة، حيث تبرز هذه المواقع نمط الحياة الريفية، حيث كانت تستخدم كمزارع لإنتاج المحاصيل وتربية المواشي ما يعكس مدى تطور النشاط الزراعي آنذاك، كما تقدم الفيلارومانية روستيكا شواهد أثرية مهمة تساعد الباحثين في فهم بنية المجتمعات القديمة وأساليب البناء المستخدمة الى جانب دورها في تعزيز النشاط الاقتصادي والاجتماعي في تلك الحقبة فان الحفاظ على هذه المواقع ودراستها يعد خطوة ضرورية للحفاظ على الموروث الثقافي والتاريخي، وتعزيز السياحة الثقافية.

توصيات

(1) تعزيز عمليات التنقيب والترميم من خلال تكيف جهود التنقيب الأثري بمختلف المواقع الأثرية المتواجدة على مستوى المنطقة.

¹ <https://www.facebook.com/oumtheboul> ، بوابة الجزائر الشرقية- أم الطبول ، تم الاطلاع على الموقع يوم

- (2) التوعية بأهمية الموقع: تنظيم ندوات وبرامج تثقيفية لتعريف المجتمع المحلي بأهمية فيلا روستيكا كموروث ثقافي.
- (3) تعزيز التعاون الأكاديمي من خلال تشجيع الباحثين والمؤسسات الأكاديمية على إجراء دراسات متعمقة حول المواقع الأثرية.
- (4) إصدار منشورات علمية وسياحية موجهة للزوار والمهتمين بالآثار حول تاريخ الفيلا روستيكا الرومانية.
- (5) الرقمنة والأرشفة من خلال إنشاء قاعدة بيانات رقمية توثق جميع الاكتشافات والبحوث المرتبطة بالمواقع الأثرية.
- (6) تنسيق الجهود مع المنظمات الدولية والتعاون مع منظمات حماية التراث العالمي للاستفادة من خبراتها في مجال الحفظ والترميم.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

1. علي خلدون، القالة بين البحر والبحيرات، مطبعة قالم، ج1، د ط، د ت.
2. أحمد توفيق مدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط، 1984.
3. دليل سنة 1994، جوانب من أحداث الثورة، مطبعة صافا، بن مهيدي، الطارف، د ط، د ت.
4. ريدي الطيب، نقد لربط تاريخنا التالد بالطارف، وثيقة صادرة عن مكتبة مديرية الثقافة، الطارف.
5. عبد الرحمان محمد جيلاني، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج 1، ط 1994.
6. نبذة تاريخية عن تاريخ الولاية القديم، الملتقى الوطني للأسلاك الشائكة، وثيقة صادر عن مديرية الثقافة لولاية الطارف
7. مداد كمال، الفيلا روستيكا وظهر نظام بنائها"فيلا قصر فاطمة انموذجا"، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد 17، عدد 01، 2019.
8. أحمودة أحمد، دراسة أثرية وتاريخية لقصر سقلاب بلدية أم الطبول ولاية الطارف، مذكرة لنيل الماستر، جامعة قالم.
9. مولدي بشينية، التراث الثقافي الغير مادي في منطقة الواقع والأفاق، الملتقى الوطني الأول، الأدب الشعبي في الجامعة الجزائرية، واقع وأفاق، 23، 22 نوفمبر 2011، المركز الجامعي الطارف

المعالم الأثرية في ولاية الطارف "دراسة تاريخية وأثرية في ضوء المكتشفات الميدانية"
فيلاروستيكا الرومانية أنموذجا"

باللغة الأجنبية:

1. Mariette de Vos Raaijmakers et Redha Attoui, LE PATRIMOINE ARCHEOLOGIQUE DE LA WILAYA D'EL TARF , 2015

المواقع الالكترونية:

1. <https://www.facebook.com/oumtheboul> أم الطبول – بوابة الجزائر الشرقية، الموقع
2. https://www.cam36.com/?attachment_id=856 غرفة الصناعة التقليدية والحرف لطارف،